Diwan :Jurnal Bahasa dan Sastra Arab
P-ISSN: 2503-0647 E-ISSN: 2598-6171
http://journal.uin-alauddin.ac.id/index.php/diwan

الخطيب الشربيني وآثاره العلمية: دراسة وصفية عن حياة السابقين

Baso Pallawagau[1], Rasna[2]

[1,2]Universitas Islam Negeri Alauddin Makassar

Email:[1]baso.pallawagau@uin-alauddin.ac.id,[2]ummushifaa01@gmail.com.

(Submitted: 13-02-2020, Accepted: 31-05-2020)

ملخص

تناول هذا البحث لمحة عن حياة الخطيب الشربيني وسيرته وآثاره العلمية للنظر في حياة العلماء السابقين، وتتكون مشكلة البحث من الأسئلة الآتية : كيف حياة الخطيب الشربيني وسيرته؟ وكيف جهوده وآثاره العلمية؟ وأمّا نوع البحث المستخدم في هذا المجال فهو البحث الوصفي النوعي بعدة مناهج؛ وهو الإنساني والإجتماعي والتاريخي. وطريقة جمع البيانات هي الطريقة المكتبية. ونتيجة البحث تجيب عن الأسئلة المذكورة وهي: أن الخطيب عاش في عصري المماليك والعثمانية المتدينتان بالتبعية السياسية والحياة الإجتماعية الصعبة ولكنه لم يشتغل بالسياسة لأنه كان رجلًا زاهدًا وتفرغ نفسه للتعلم والتعليم وأنه رجل مجتهد في العبادة والعلم فقد ظفرت المكتبة العربية بالكثير من مصنفاته في علوم شتى. والمستفاد من هذا البحث هو أخذ العبرة والموعظة عن حياة السابقين والتأسى بهم، وربط الحياة بين الماضي والحاضر والرجوع إلى التراث طريقة لإصلاح المجتمع في العصر الحاضر والمستقبل.

الكلمات الأساسية: الخطيب الشربيني، حياة السابقين

Abstrak

Penelitian ini membahas tentang kehidupan Al-Khatib Syarbiniy, biografi dan jejak ilmiah beliau untuk mengkaji kembali kehidupan ulama-ulama klasik. Adapun rumusan masalah penelitian ini terdiri dari dua pertanyaan yaitu: Bagaimana biografi Al-Khatib Syarbiniy? Bagaimana upaya dan jejak ilmiah beliau? Jenis penelitian menggunakan deskriptif kualitatif dengan beberapa pendekatan seperti humanis, sosial dan historis. Metode pengumpulan data bersifat penelitian kepustakaan (library research). Hasil penelitian menunjukkan bahwa: Al-Khatib Syarbiniy hidup di era Mamluk dan Ottoman yang memiliki ciri khas perpolitikan yang buruk dan kehidupan sosial yang sulit. Akan tetapi beliau tidak ikutan di dalam kehidupan politik karena beliau sosok lelaki zuhud dan fokus dalam mencari ilmu dan mengajarkannya. Al-Khatib Syarbiniy merupakan sosok yang rajin beribadah dan sarat ilmu pengetahuan, karangannya membanjiri perpustakaan Arab dengan berbagai macam disiplin ilmu pengetahuan. Implikasi penelitian ini adalah mengambil pembelajaran dan hikmah darikehidupan para ulama klasik terlebih khusus jejak Al-Khatib Syarbiniy, menghubungkan kembali kehidupan masa lalu dan masa kini dan kembali mempelajari turats merupakan jalan untuk memperbaiki masyarakat sosial masa kini dan akan datang.

Kata kunci: *Biografi, Al-Khatib Syarbiniy*

Pengutipan: Pallawagau, Baso dan Rasna. "الخطيب الشربيني وآثاره : دراسة وصفية عن حياة السابقين العلمية" Diwan, vol. 6 no. 1 (Juni 2020). https://doi.org/10.24252/diwan.v6i1.12545

مقدمة

إن البحث في تفاصيل حياة السابقين، والنظر في سيرهم، والاطلاع على جهودهم، يعد أمرًا جليلًايربط بين ماضينا وحاضرنا، ويمدنا بزادالعبرة والعظة والتدبّر، ويشعرنا بمدى تقصيرنا وإفراطنا وتفريطنا في التعامل مع التراث المجيد الذي خلفوه لنا ويدفعنا للسير على نهجهم واتباع مسلكهم العلمي القويم.

هذا، وقد آثرت دراسة شخصية الشيخ الخطيب الشربيني؛ لأني وجدت أن جماعة من علماء التراجم البارزين في العصور السابقة نالوا حظهم من الترجمة ترجمة هزيلة. فذكره في كتب التاريخ والتراجم عابر، لا تناسب مكانته العلمية وتصانيفه النوعية، إذ تحمّل كثيرًا من جوانب حياته وتمر على جوانب أخرى مرور الكرام.

ومن أجل ذلك، فإنني سأنضمّ إلى الذين كتبوا عن الشيخ الجليل، لعلي أثري شيئًا عن حياته الخاصة والعامة وسيرته العلمية، مختارًا عنوان ((الخطيب الشربيني وآثاره العلمية)).

منهجية البحث

استخدم الباحث بعد عون الله تعالى وتوفيقه البحث الوصفي النوعي بعدة مناهج؛ وهو الإنساني والإجتماعي والتاريخي. وطريقة جمع البيانات هي الطريقة المكتبية مستعينًا بمجموعة من كتب التراجم، ومستشفًا منها المعاني السامية في شخصيته وناظرًا في كتبه المطبوعة المتداولة.

ولخصت في هذا البحث طبيعة حياة الخطيب الشربيني وملامحها العامة، وخصصت ثلاثة مطالب؛ وهي حياة الخطيب الشربيني وسيرته، عصره، وآثاره العلمية.

حياة الخطيب الشربيني وسيرته

نسبته ولقبه

هو الإمام العلامة شمس الدين، مُحَمَّد بن أحمد، وقيل بن مُحَمَّد[1] الشربيني، القاهريّ، الشافعيّ، الفقيه المفسر، المتكلم، النحويّ، الصرفيّ[2].

[1] ابن العماد. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، الجزء العاشر، (الطبعة الأولى؛ بيروت: دار ابن كثير، سنة 1993م)، ص. 561 – 562.

لقب العلامة بـ((شمس الدين))، واشتهر بـ((الخطيب الشربيني)) وهذا اللقب الذي عرف به واشتهر بين أهل العلم قديماً وحديثاً[3].

مولده ونشأته

ولد في القاهرة سنة 916هـ، ونشأ في شربين، وهي مدينة بمحافظة الدقهلية بجمهورية مصر العربية، وإليها ينسب، ثم انتقل إلى القاهرة واستوطنها حتى توفي، وحفظ القرآن الكريم في صغره، وتلقى العلم على يد أكابر الشيوخ في الفقه، وعلم الكلام، والنحو، واللغة، والتفسير، والبلاغة[4].

رحلاته

رحل الشيخ الخطيب من بلده إلى القاهرة، والتحق بالأزهر الشريف، وكان من عاداته أن يدخل الجامع الأزهر في أول ليلة الصيام، فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد، وكان كثيراً ما يحج ويجاور بمكة، وقيل : إنه يحجّ أربعاً وعشرين مرة . وكان إذا حجّ لا يركب إلاّ بعد تعب شديد، وكان من بداية الطريق يعلّم الناس المناسك وكيفية القصر والجمع، ويحثهم على الصلاة، ويكثر من تلاوة القرآن في الطريق، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف والصيام، وكان كثير الزيارة لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم، يستخير ربه بالروضة الشريفة إذا همّ أمر من الأمور، فلم يكتب حرفاً في كتابه ((مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج)) إلاّ بعد أن ذهب إلى زيارة رسول الله ﷺ، وصلى ركعتين بنية الاستخارة في الروضة الشريفة، والسفر أكثر أيامه[5].

---

[2] عمر رضا كحالة. *معجم المؤلفين*، الجزء الثالث، (الطبعة الأولى؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة 1993م)، ص. 69.

[3] إسماعيل باشا البغدادي. *هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المؤلفين*، الجزء الثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، دونة سنة)، ص. 250.

[4] علي باشا مبارك. *الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة*، الجزء الثاني عشر، (الطبعة الأولى؛ بولاق مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، سنة 1305هـ)، ص. 127 – 128 .

[5] نجم الدين محمد بن محمد الغزي. *الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة*، الجزء الثالث، (الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلمية، سنة 1997م)، ص. 72 – 73.

صفاته

وصف الخطيب الشربيني بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة العبادة، ومع إقباله على الطاعة والزهد في الدنيا والتفرغ لدراسة العلم وتدريسه، كان كثير التواضع، شديد الحياء، صاحب علم جم وفضل كبير، فكان يؤثر على نفسه ولو كانت به خصاصة . وكان كثير الثناء على شيوخه، ولم يذكر أحداً بسوء، ولا يعيب أحداً، ولا يسفِّه رأياً، وكان لا يكترث بأشغال الدنيا؛ فلا يسعى إلى شيء فيه رئاسة، ولا يزاحم أحداً على صحبة أحد من الولاة والقضاة، بل ربما لا يعرف أحداً منهم . وقال ابن عماد[6]: أجمع أهل مصر على صلاحه، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة العبادة[7].

شيوخه

تتلمذ الشيخ الخطيب على أيدي علماء أجلاء، ومنهم :

1 .**الشيخ بدر الدين مُحَمَّد بن أبي بكر المشهدي المصري الشافعي**، ولد سنة 862 هـ، وتوفي سنة 932 هـ [8].

2 .**الشيخأحمد البرلسي المصري الشافعي، شهاب الدين الملقب بعميرة**، فقيه، من أهل الزهد والورع، وله كتاب ((حاشية على شرح منهاج الطالبين للمحلي)) . توفي سنة 957 هـ[9].

3 .**الشيخ أحمد بن حمزة الرملي، شهاب الدين**، فقيه شافعي، من رملة المنوفية بمصر، صاحب مؤلفات، ومنها :((فتح الجواد بشرح منظومة ابن العماد))، و((الفتاوي))، وغير ذلك . توفي سنة 957 هـ.[10].

---

[6] ابن عماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح، ولد سنة 1032 هـ، وصنّف :((شذرات الذهب في أخبار من ذهب))، و((شرح متن المنتهى)) في فقه الحنابلة، و((شرح بديعية ابن حجة))، وغير ذلك . توفي سنة 1089 هـ (يراجع: خير الدين الزركلي. *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشركين*، الجزء الثالث، (الطبعة الخامسة عشرة؛ بيروت: دار العلم للملايين، سنة 2002م)، ص. 290.

[7] ابن العماد. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، الجزء العاشر، ص. 561.

[8] ابن العماد. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، الجزء العاشر، ص.259 .

[9] نجم الدين محمد بن محمد الغزي. *الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة*، الجزء الثاني، ص.120.

[10] خير الدين الزركلي. *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشركين*، الجزء الأول، ص. 120.

4 .**الشيخ مُحَمَّد ناصر الدين اللقاني أبو عبد الله المصري المالكي**، فقيه، أصولي، صرفي، صنف ((حاشية على شرح جميع الجوامع للمحلى)) في الأصول، و((شرح خطبة مختصر الشيخ خليل)) في الفروع، و((حاشية على التصريف للزنجاني))، وغير ذلك. توفي سنة 958 هـ[11].

5 .**الشيخ ناصر الدين مُحَمَّد بن سالم الطبلاوي الشافعي**، وله مصنفات، منها :((بداية القاري في ختم البخاري))، و((شرح الحاوي الصغير للقزويني في فروع الفقه))، وغير ذلك . توفي سنة 966 هـ[12].

وغيرهم من العلماء الأجلاء[13].

تلاميذه

لم تذكر كتب التراجم تلاميذ معينين له، بل ذكرتهم إجمالاً، وقال صاحب الخطط التوفيقية: وأجاز له أشياخه الإفتاء والتدريس، فدرس وأفتى في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق لا يحصون[14]. وهذا راجع إلى سعة علمه وعموم فضله – رحمه الله –

وفاته

توفي الشيخ الخطيب الشربيني في القاهرة في عصر يوم الخميس الثاني من شعبان سنة 977هـ / 1570 م[15]، رحمه الله رحمة واسعة وطيب ثراه .

عصر الخطيب الشربيني

الحالة السياسية

عاش الخطيب الشربيني في أواخر عصر الدولة الجركسية أو البرجية التي أسسها ((برقوق بن آنص العثماني)) سنة 784 هـ[16]، وأوائل دولة العثمانيين في مصر. وكان الملك الأخير في الدولة

---

[11] عمر رضا كحالة. *معجم المؤلفين*، الجزء الثالث، ص.611 .

[12] ابن العماد. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، الجزء العاشر، ص. 506-507.

[13] ابن العماد. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، الجزء العاشر، ص. 561.

[14] علي باشا مبارك. *الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة*، الجزء الثاني عشر، ص. 128.

[15] ابن العماد. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، الجزء العاشر، ص. 562.

الجركسية الملك الأشرف ((أبا النصر طومان باى)) 922 هـ - 923 هـ . وفي أواخر عام 922 هـ وقعت بينهم وبين العثمانيين الزاحفين، معركة شديدة الروع، قتل فيها من الجمعين عدد كبير، ودارت الدائرة على المصريين، ففرّوا من الميدان، وفرّ كذلك طومان باى بعد أن ثبت زمناً مع فئة قليلة من أتباعه . ولمّا قبض عليه شنع أشنع شنقة على باب زويلة، في المحرم عام 923 هـ . وبموته انتهت دولة الجراكسة، وبدأ عهد الاحتلال العثماني الممقوت[17].

ويجدر بنا أن نقول كلمة في الخلافة نسبتها إلى العرب أو غيرهم. أفضت أمور المسلمين إلى ملوك وسلاطين من الفرس والأتراك والأكراد والبربر والجركس وغيرهم، ومع ما بلغوا من سعة الملك وعز السلطان، ومع حاجتهم إلى السيادة الدينية لتستقيم دولهم وتجتمع الرعية على طاعتهم لم يخطر لأحد منهم أن يطلب الخلافة لنفسه قبل انتقال الإسلام إلى طوره الثاني بعد تضعضه بفتوح المغول. ولا ادَّعَاها أحد من العرب غير قريش. وأول سلطان غير عربي بويع بالخلافة السلطان سليم العثماني.

على أن الذين قويت شوكتهم في عهد ذلك التمدّن من الأمراء المسلمين أو القوّاد غير العرب، كانوا إذا طمعوا بالسيادة الدينية أو الخلافة انتحلوا لأنفسهم نسبًا في قريش، كما فعل أبو مسلم الخراساني لما رأى من نفسه القوّة من إنشاء الدولة، وربّما طمع بالخلافة فانتحل لنفسه نسبًا في بني العباس، فقال إنه من سليط بن عبد الله بن العباس.

وأما الملوك أو السلاطين الأعاجم فلمّا ضخمت دولهم في أواخر عصر الدولة العباسية، ورأوا انحطاط الخلافة وتقهقرها وتمنّوا الاستغناء عنها، ولكنهم لم يروا سبيلاً إلى ذلك إلا أن يستبدلوها بخلافة أخرى. على أنّ بعضهم طمع بالنفوذ الديني من طريق الانتساب إلى الخليفة بالمصاهرة. وأوّل من فعل ذلك عضد الدولة بن بويه المتوفى سنة 372 هـ، فإنه حمل الطائع لله الخليفة العباسي في أيامه أن يتزوج بابنته، وغرضه من ذلك أن تلد ابنته ولدًا فيجعله ولي عهده، فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب ولم يوفق إلى مراده[18].

---

[16] محمود رزق سليم.*موسوعة عصر سلاطين المماليك*، الجزء الأول (الطبعة الأولى؛ مصر: مكتبة الآداب، سنة 1965)، ص. 41.

[17] محمود رزق سليم. *موسوعة عصر سلاطين المماليك*، الجزء الأول، ص. 63.

[18] جرجي زيدان. *تاريخ مصر الحديث*، الجزء الثاني (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، سنة 2017م.)، ص. 415.

وفي أوائل العصر العثماني لم تكن مصر أحسن حالاً منها في عصر المماليك، فحين استقرّ الأمر للسلطان ((سليم)) (923 – 927 هـ)[19]، جعل في تأييد سلطته في مصر ليأمن من تمردها وتلاعب ذوي الأغراض فيها ثلاث إدارات، كلّ منها تراقب أعمال الآخر بين، فلا يخشى من اتحادها وتمردها . فالقوة الأولى :((الباشا))، وأهمّ واجباته إبلاغ أوامر السلطانية لرجال الحكومة وللشعب ومراقبة تنفيذها . والقوة الثانية: ((الوجاقات))، فإنه أقام في القاهرة وفي المراكز الرئيسة من القطر ستة آلاف فارس، وستة آلاف ماش بالبنادق، جعلها ستة فرق تحت قيادة وأوامر ((خير الدين)) أحد قواد العثمانيين العظماء، وأمره أن يقيم في القلعة ولا يخرج منها لأي سبب كان، وواجبات هذه الوجاقات حفظ النظام في القطر المصري والدفاع عنه وجباية الخراج[20] . والقوة الثالثة: المماليك، وهم بقايا الدولتين السالفتين، والفائدة منهم حفظ الموازنة بين ((الباشا)) و((الوجاقات))؛ لأنهم في الأصل أعداء لكلا الفريقين، ومن أغراضهم الانتصار للفريق الأضعف ليمنعوا القوى من الاستبداد. وقد كان القطر المصري منقسمًا إلى 12 سنجقلية (مديرية)، يحكم كلا منها حاكم يقال له: (سنجق) أو (بك) يعينه الديوان وهو مجلس شورى الباشى من أمراء المماليك. ولا غرو أن تقاطع المصالح على هذه الصورة واختلاطها مع تعداد الآمرين مما يقود إلى القلاقل والمتاعب. أما الدولة العثمانية فقد اجتنت راحة من هذا التعب؛ لأنها كانت على ثقة من استبقاء الديار المصرية في حوزتها[21].

والحقيقة أنّ مصر في عصر المماليك مستقلة منشورة السلطان في جميع البقاع الإسلامية، تدين لها هذه البقاء بالتبعية السياسية أو التبعية الأدبية، فكانت مركز الإسلام، ومنزل الخلافة . أمّا العثمانيون فقد أزالوا استقلالها، وعبثوا بحرياتها، وزادوها ظلمة على ظلمة، ومكثت موءودة تحت عبء الاحتلال إلى أن قامت نهضتها الحديثة من ويلاتها[22]. وموقف شيخنا الخطيب الشربيني – رحمه الله – كان بعيداً عن هذه الفوضى والاضطرابات السياسية والحكام، ولم يلتفت إليها، وكان

[19] سيد محمد سيد. *مصر في العصر العثماني*، (الطبعة الأولى؛ القاهرة: مكتبة مدبولي، سنة 1997م.)، ص. 89.
[20] جرجي زيدان. *تاريخ مصر الحديث*، الجزء الثاني، ص. 416.
[21] جرجي زيدان. *تاريخ مصر الحديث*، الجزء الثاني، ص. 421.
[22] محمود رزق سليم. *موسوعة عصر سلاطين المماليك*، الجزء الأول، ص. 64.

مهتمّاً بالعلم وتحصيله وتعليمه؛ لأنه لا يأبه بالدنيا ومشاغلها، ولا يحسد أحداً على جاه أو إقبال من الأكابر[23].

الحالة الاجتماعية

عاش المماليك في مصر طبقة منفصلة ممتازة عن سائر السكان بالبلاد المصرية، وساعد ذلك على قيام نظام طبقي وضحت فيه كلّ طبقة من طبقات المجتمع وضوحًا أملاه مركزها ونوع نشاطها[24]. انقسم سكان مصر في عصر سلاطين المماليك إلى فئات ثمان، وهي : المماليك، والمعمّمون، والتجار، وطوائف السكان وأرباب المهن في المدن، وأهل الذمة، والفلاحون، والأعراب، والأقليات الأجنبية[25].

وقد كان الفلاح في القاع بين هذه الطبقات، وكان التاجر والصانع في منزلة أعلى من الفلاح، إذ أنّ التجار والصناع كانوا يعيشون غالباً في المدن بعيدين عن الإقطاع وما فيه من إذلال، وقد يكون لبعضهم ثراء جدير بالذكر . أمّا الأمراء المماليك فكانوا في القمة في هذا المجتمع، ويغلب أن يكون أعضاء الجيش من المماليك الموستوردين، أما أبناء المماليك فلم يكن لهم أن يلتحقوا بالجيش، وإنما كانوا يباشرون العمليات الادارية والكتابية . أمّا النابهون من السكان الأصليين، فكان يمكن أن توكل لهم الوظائف الحسابية، والقضائية والتعليمية.

وهناك طبقة أخرى ظهرت في المجتمع المصري في مطلع عهد المماليك. وهي طبقة طوائف التتار التي فرت من حكم قادتها ولجأت إلى مصر. وقد اعتنقت هذه الطوائف بالدين الإسلامي وأخذت على أخلاقه، وقد رحب بهم سلاطين المماليك وبخاصة بيبرس رجاء أن يتخذهم أعوانًا له وينتفع بما عرف عنهم من قوة وشجاعة ضد منافسيه في الداخل وأعدائه في الخارج[26].

---

[23] علي باشا مبارك. *الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة*، الجزء الثاني عشر، ص. 127.

[24] سعيد عبد الفتاح عاشور. *المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك*، (القاهرة: دار النهضة العربية، سنة 1992م.)، ص. 15.

[25] سعيد عبد الفتاح عاشور. *المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك*، ص. 16.

[26] أحمد شلبي. *موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية*، الجزء الخامس، (الطبعة السابعة؛ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، سنة 1986م.)، ص.271.

وفي العصر العثماني كان المجتمع المصري لايختلف بكثير عما كان عليه في عصر المماليك، فقد كان المجتمع يتكون من فئات اجتماعية مختلفة، وسادت بين هذه الفئات علاقات اجتماعية مختلفة، وأصبحت الحياة الاجتماعية داخل المدينة ذات سمة خاصة، هذا فضلاً عن أنّ المدينة مرت بأحداث كثيرة، مثل انتشار الأمراض، وعدم فيض النيل[27]، وكون الفلاح معرضاً لظلم جباة الضرائب وتعذيبهم إن قصر في إرضائهم، والولاة وإن توفرت في الكثيرين منهم نية الخير، فقد كانوا لا يقدرون على تحقيقها، وإقرار الحق، ونشر العدالة بين الناس، إذ كان الوالي مسلوب السلطة على الجنود[28].

ومن ثم انحط المستوى الاجتماعي للشعب إلى أقصى درجات الانحطاط، ففي ذلك العهد كانت مصر تحت سلطان العثمانيين حكماً، وتحت سيطرة المماليك فعلاً، وكانت الأهواء المختلفة، والقوى المتضاربة، والأجناس المتباينة تنخر في هيكل هذه الأمة البائسة، فكان عددها لايبلغ ثلاثة ملايين فشت فيهم الأمية، واستولى عليهم الجهل، وألحّت عليهم الأوباء والسنون، واستغلهم الظلم واستعبدهم الحكام [29].

وفي ظل هذه الظروف الصعبة لازم الشيخ الخطيب الشربيني – رحمه الله – أشياخه الذين نهلوا مناهل العلم والمعرفة، يحفظ جوارحه وغفلته عما فيه السعي على الدنيا ووظائفها ومضايقة أهلها، ولم يتأثر بما يدور حوله من الأحداث؛ لأنه كان زاهداً في الدنيا، غير مكترث بمشاغلها، فأخذ عنهم معارفه وتربى على أيديهم، فأفاضوا عليه من فيوضاتهم، وأعطوه ما جادت قرائحهم حتى نضج عقله، وأوسع فكره ومعارفه، وتبحّر في العلوم على أيديهم، وأجازوه بالإفتاء والتدريس، فدرس وأفتى في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق لا يحصون[30].

---

[27] عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. *فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني*، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1990م.)، ص. 280.

[28] توفيق الطويل. *التصوف في مصر إبان العصر العثماني*، (القاهرة: مكتبة الآداب، بدون سنة)، ص. 23-24.

[29] أحمد حسن الزيات. *تاريخ الأدب العربي*، (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بدون سنة)، ص. 415 .

[30] علي باشا مبارك. *الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة*، الجزء الثاني عشر، ص. 127.

الحالةالعلمية

عاش الخطيب الشربيني في أواخر عصر الدولة الجركسية أو البرجية وأوائل دولة العثمانيين في مصر . وكانت مصر في عصر المماليك الجركسية أوفر حظاً منها في عهد العثمانيين من الناحية العلمية . ومن أعظم دليل على النشاط العلمي في عصر المماليك، كثرة بناء المساجد والمدارس، فبنى السلطان قايتباي (901هـ) عدة مساجد، منها : مسجد باب الخرق (الخلق)، ومسجد وحوض سبيل بالعباسية، ومسجد بالصحراء، ومدرسة وضريح بالقرافة الشرقية، ومن المساجد الشهيرة جامع المؤيد بجوار باب زويلة، وكانت به مكتبة كبيرة، ومسجد الغوري بالقرب من الأزهر، وبنى برقوق (801هـ) مدرسته بين القصرين، وبنى الأمير جمال الدين الأستادار في عهد السلطان فرج (809هـ) مدرسته التي نسبت إليه، فعرفت بالجمالية، وبنى الأشرف بارسباي ثلاث مدارس إحداها بصرياقوس، وثانيتها بالقاهرة، وهي المعروفة بالأشرفية، وثالثتها بالصحراء وقد دفن بها[31].

وأمّا الحالة العلمية في العصر العثماني فقد تدهورت، وشاع الجهل بين الناس، واستفحل أمره في الريف والحضر، وعششت الذاجة في رؤوسهم؛ لأنّ الأتراك العثمانيين كانوا يجهلون العربية بالرغم من تدينهم بالدين الإسلامي، لكنهم احتفظوا بلسانهم التركي للمخاطبات، والمخابرات، والمراسلات، وسائر المعاملات. لذلك لم يكن غريباً أن ينحط شأن اللغة العربية في مصر في هذا العهد، ويصيبها الضعف والركود وتنتابها الركاكة، وتنحط الآداب العربية، ويندر نبوغ العلماء والمفكرين أو المستنبطين فيها، وأكثر ما كتب في هذا العصر. إنما هو من قبيل الشروح، والحواشي، والتعليق، وشروح الشروح ونحوها، ويصح أن يسمى هذا العصر ((عصر الشروح والحواشي))[32].

والحقيقة أنّ النهضة التأليفية في هذا العهد الغاشم، إن صح لنا اعتبارها كانت في الحواشي، ولم تمنع هذه الحال العامة في التصنيف أن يظهر بين الفينة والفينة بعض أفراد لا تنطبق عليهم أحكام هذا العصر، غير أنهم تقسمتهم الأزمنة المتطاولة جدّاً، فأجادوا في التصنيف ترتيباً وتقريباً، وإن لم تكن لهم آثار من ناحية ابتداع وتجديد، إذ كان غرضهم الأول إنما هو فهم أو تفهيم عبارات السابقين إذا كانت مغلقة، وبسطها إن كانت موجزة، فقدموا بعملهم هذا صنعاً جميلاً، وكانوا منحاً في أيام كلها

[31] أحمد شلبي. *موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية*، الجزء الخامس، ص. 272.

[32] جرجي زيدان. *تاريخ آداب اللغة العربية*، الجزء الثالث، (مصر: دار الهلال، بدون سنة)، ص. 290 - 291.

محن[33]، كشيخنا الخطيب الشربيني – رحمه الله –، فإنه لم يزل مكباً على الاشتغال بالعلم والعمل به وتعليمه للناس، ولا يرى إلاّ في مطالعة علم، فصنّف المصنفات العظيمة التي تركها في المكتبة العربية التي تشهد بهذا الفضل[34]. رحمه الله رحمة واسعة وطيب ثراه.

آثار الخطيب الشربيني العلمية

أجمع أهل مصر على نبوغ الخطيب الشربيني ووصفوه بالعلم والعمل، فقد ظفرت المكتبة العربية بالكثير من مؤلفاته التي تتميز بالبحث الدقيق، والعلم الغزير، فقد لاقت قبولاً عظيماً، وما زالت تدرس وتقرأ، وهي على النحو التالي :

مؤلفاته في الفقه

1 . الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع في الفقه الشافعي[35]. وهو مطبوع في مجلدين بدار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 2004 م تحقيق الشيخ علي مُحَمَّد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود .

2 . شرح التنبيه لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الفقيه المتوفى سنة 476هـ. وهو كتاب في فروع الشافعية[36]. وهو ما زال مخطوطاً .

3 . مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، وبالهامش متن المنهاج أو منهاج الطالبين للنووي[37]. وهو مطبوع في ستة مجلدات بدار الحديث – القاهرة سنة 2006 م، تحقيق: د. مُحَمَّد مُحَمَّد تامر، والشيخ شريف عبد الله .

---

[33] محمد الطنطاوي. *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ*، (الطبعة الثانية؛ القاهرة: دار المعارف، دون سنة.)، ص. 301.

[34] علي باشا مبارك. *الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة*، الجزء الثاني عشر، ص. 127-128.

[35] يوسف اليأن سركيس. *معجم المطبوعات العربية والمعربة*، الجزء الأول، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، بدون سنة)، ص. 1109.

[36] إسماعيل باشا البغدادي. *هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المؤلفين*، الجزء الثاني، ص. 250.

[37] يوسف اليأن سركيس. *معجم المطبوعات العربية والمعربة*، الجزء الأول، ص. 1109.

4 . مناسك الحج (فقه شافعيّ)[38]. وهو مطبوع بدار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى سنة 2006 م، تحقيق : ماجد حامد حرز المحمدي .

مؤلفاته في اللغة

1 .تقريرات الشربيني على المطول للتفتازاني في البلاغة[39]، مطبوع بمصر بدون تاريخ .

2 . شرح شواهد قطر الندى وبل الصدى في النحو، ويليه متن القطر مطبوع بمطبعة حجر – مصر 1283 هـ، والشرفية 1298 هـ، ومطبعة عثمان عبد الرزاق 1304هـ، والوهبية 1311 هـ[40].

3 . شرح قطر الندى المعروف بمغيث الندا إلى شرح قطر الندى في النحو[41]، وهو محقق بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض، تحقيق : ناصر جميلي سنة 1411 – 1412 هـ .

4 . فتح الخالق المالك في حل ألفاظ ألفية ابن مالك في النحو[42]. وهو محقق بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بجامعة الأزهر بالقاهرة، تحقيق : سعاد مُحَمَّد إسماعيل علي ورقية مسلم توفيق .

5 . الفتح الرباني في حل ألفاظ تصريف عز الدين الزنجاني في الصرف[43] . وهو محقق بكلية اللغة العربية للبنين بجامعة الأزهر بالقاهرة، تحقيق : عبد الحميد السيد خضر دومة .

6 . نور السجية في حل ألفاظ الآجرومية[44] . وهو محقق بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بجامعة الأزهر بالقاهرة، تحقيق : السيد عبد اللطيف محمود.

---

[38] يوسف اليأن سركيس. *معجم المطبوعات العربية والمعربة*، الجزء الأول، ص. 1109.

[39] خير الدين الزركلي. *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشركين*، الجزء السادس، ص. 6.

[40] يوسف اليأن سركيس. *معجم المطبوعات العربية والمعربة*، الجزء الأول، ص. 1109.

[41] عمر رضا كحالة. *معجم المؤلفين*، الجزء الثالث، ص. 69.

[42] إسماعيل باشا البغدادي. *هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المؤلفين*، الجزء الثاني، ص. 250.

[43] عمر رضا كحالة. *معجم المؤلفين*، الجزء الثالث، ص 69.

[44] إسماعيل باشا البغدادي. *هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المؤلفين*، الجزء الثاني، ص. 250.

مؤلفه في التفسير

السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير[45]. وهو مطبوع في أربعة مجلدات بدار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى سنة 2004 م، تحقيق إبراهيم شمس الدين . وهذا الكتاب هو محل دراستي في تنبيهات الخطيب النحوية .

مؤلفه في التوحيد

شرح منهاج الدين في شعب الإيمان، في علم الكلام[46] وهذا من كتبه المفقودة . وله غير ذلك من المؤلفات.

خاتمة

وبعد تتبع الباحث لسيرة الخطيب الشربيني وسلوكه واجتهاده استخلص الأمور الآتية:

شارك الخطيب في علوم شتى منذ صغره دليل على سعة اطلاعه، وتنوع اهتماماته، واستيعابه لعلوم عصره.

ابتعد الخطيب عن الحياة الفوضى والاضطرابات السياسية في عصره، وعاش في الظروف الإجتماعية الصعبة تحت سيطرة المماليك والعثمانية، وانحطاط اللغة العربية وآدابها، إلاّ أنه كان يركز في العلم والتعليم، ويجيد في شرح عبارة السابقين من العلماء إذا كانت مغلقة، لفهم وتفهيم الناس.

ساهم الخطيب في إثراء المكتبة العربية من خلال مصنفاته الضخمة، فصنف المصنفات العظيمة في الفقه واللغة والتفسير والتوحيد.

المصادر والمراجع

ابن العماد. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، الجزء العاشر، الطبعة الأولى؛ بيروت: دار ابن كثير، سنة 1993م.

أحمد حسن الزيات. تاريخ الأدب العربي، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بدون سنة.

[45] يوسف اليأن سركيس. *معجم المطبوعات العربية والمعربة*، الجزء الأول، ص. 1109.

[46] عمر رضا كحالة. *معجم المؤلفين*، الجزء الثالث، ص. 69.

أحمد شلبي. *موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية*، الجزء الخامس، الطبعة السابعة؛ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، سنة 1986م.

إسماعيل باشا البغدادي. *هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المؤلفين*، الجزء الثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، دونة سنة.

توفيق الطويل. *التصوف في مصر إبان العصر العثماني*، القاهرة: مكتبة الآداب، بدون سنة.

جرجي زيدان. *تاريخ آداب اللغة العربية*، الجزء الثالث، مصر: دار الهلال، بدون سنة.

جرجي زيدان. *تاريخ مصر الحديث*، الجزء الثاني المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، سنة 2017م.

خير الدين الزركلي. *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشركين*، الجزء الثالث، الطبعة الخامسة عشرة؛ بيروت: دار العلم للملايين، سنة 2002م.

سعيد عبد الفتاح عاشور. *المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك*، القاهرة: دار النهضة العربية، سنة 1992م.

سيد مُحَمَّد سيد. *مصر في العصر العثماني*، الطبعة الأولى؛ القاهرة: مكتبة مدبولي، سنة 1997م.

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. *فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني*، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1990م.

علي باشا مبارك. *الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة*، الجزء الثاني عشر، الطبعة الأولى؛ بولاق مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، سنة 1305هـ.

عمر رضا كحالة. *معجم المؤلفين*، الجزء الثالث، الطبعة الأولى؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة 1993م.

مُحَمَّد الطنطاوي. *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة*، الطبعة الثانية؛ القاهرة: دار المعارف، دون سنة.

محمود رزق سليم. *موسوعة عصر سلاطين المماليك*، الجزء الأول الطبعة الأولى؛ مصر: مكتبة الآداب، سنة 1965م.

نجم الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزي. *الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة*، الجزء الثالث، الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلمية، سنة 1997م.

يوسف اليأن سركيس. *معجم المطبوعات العربية والمعربة*، الجزء الأول، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، بدون سنة.